

استقبال رمضان

الحمد لله الذي جعل تعاقب الليل والنهار عبرة لأولي الأبصار،
أحمده سبحانه على نعمه الغزار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك
له العزيز الغفار، حكم بفناء هذه الدار، وأمر بالتزود لدار القرار، وأشهد
أن نبينا محمداً عبده ورسوله حامل لواء الأبرار، صلى الله عليه وعلى آله
وأصحابه أهل البرّ والوفاء، والإحسانِ والتقوى.

أما بعد:

فاتقوا الله تعالى حقّ التقوى، فمن اتقى ربه وقاه، ومن اتبع هواه
أرداه.

أيها المسلمون:

صلاح القلب واستقامته متوقف على توجهه إليه سبحانه؛ ليسعد
السعادة النفسية والجسمية، وتهوّن عليه أمور الدنيا وينشط في فعل
الخيرات، والمسابقة إلى الطاعات، وقد اقتضت رحمة العزيز الرحيم
بعباده أن شرع لهم من الصوم ما يذهب فضول المشارب، ويستفرغ من
القلب أخلاط الشهوات، والنفس إذا جاعت رِقَّ القلب وصفا.

ولقد استقبل المسلمون سيدَ الشهور، شهرَ الغنائم والبشائر، شهرَ
العفو والغفران، شهرَ الفضائل والنفحات. له في نفوس الصالحين بهجة،
وفي قلوب المتعبدين فرحة، ربَّ ساعةٍ قبولٍ أدركت عبداً فبلغ بها

درجات الرضا والرضوان، قال أحد الصالحين عند موته: «إنما أبكي على أن يصوم الصائمون لله ولستُ فيهم ويصلي المصلون ولستُ فيهم».

فيه ليلة تاج على رأس الزمان، هي خيرٌ من ألف شهر، من قامها إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه، شهر المغفرة ومحو السيئات يقول النبي ﷺ: «إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنان»، وفي لفظ «أبواب الرحمة، وغلقت أبواب النار، وصدفت الشياطين» (متفق عليه)، ومن قامه إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه، وهو شافعٍ لصاحبه.

أيها المسلمون:

من أراد السعادة الأبدية فليلزم العبودية، وعمل البرِّ لا يقوم على سوقه إلا بالإخلاص، ومن شرف عبودية المؤمن قيامه بالليل، وأفضل الصلوة بعد الفريضة صلاة الليل، فيه تصفو الأوقات وتحلو المناجاة، وقد تنافس الصالحون في ظلماته، وأحبو الدنيا لليلها، يقول أبو سليمان الداراني - رحمه الله -: «والله لولا قيام الليل ما أحببت الدنيا»، والليل ثمين بدجاءه، وقيامه من نعوت الصالحين المبشرين بجنات النعيم: ﴿كَأَنَّهُمْ قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ [الذاريات: الآية ١٧].

كان الحسن البصري - رحمه الله - يقول: «ما ترك أحد قيام الليل إلا بذنب أذنبه». فافتح صفحة مشرقة مع مولاك، واسدل الستار على ماضٍ نسيته وأحصاه الله عليك.

والدعاء سهم الليل، حبل ممدود بين السماء والأرض، ربح ظاهر بلا ثمن، ومغرم بلا عناء، هو عدو البلاء يدافعه ويمنع نزوله، ولن يهلك مع الدعاء أحد، خزائن الله ملأى ويده سحاء الليل والنهار لا تغيضها نفقة. وكن على رجاء من الإجابة، فالمدعو كريم، فاجعل لك في هذه الليالي مدخراً فإنها أنفس الذخر.

وما غُسلت سيئة أبهى من دمعة حسرة ليلية على التفریط، فقارب

الأقدام مع المصلين إلى انصراف إمامهم تحظ بالشواب، فمن لم يصبر نفسه على طاعة ربه، ويوطنها على محبته، ابتلى بتصبيرها على المعاصي وذللها، يقول النبي ﷺ: «من قام مع الإمام حتى ينصرف كتب له قيام ليلة» (رواه الترمذي).

أيها المسلمون:

الكتاب العزيز آية الرسالة ونور البصائر والأبصار، لا طريق إلى الله سواه، ولا نجاة لنا بغيره نزل في خير الشهور.

ومن أفضل ما تعمّر به الأوقات في رمضان، كثرة تلاوته وتدبره والعمل به، ولقد كان الأسود يقرأ القرآن في كل ليلتين في رمضان، وكان قتادة يختم القرآن في كل ثلاث ليال، وفي العشر الأواخر في كل ليلة. وما في القرآن من المواعظ والعبر يزيد خشوعاً وخضوعاً.

أيها المسلمون:

الغني الشحيح فقير مزخرف، وذو اليسر الممسك خادم مبتذل، يجمع المال لغيره، والتاجر البخيل يحمل ورقاً لا نقداً.

ولقد كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان، إن أنفق أجزل، وإن منح أغدق، وإن أعطى أعطى عطاء من لا يخشى الفاقة، ما سئل شيئاً إلا أعطاه، ما رد سائلاً إلا أن لا يجد شيئاً، وشهر رمضان موسم للمتصدقين يتنافس فيه ذوو العطاء بالبذل والإنفاق، ومدّ اليد إلى ذوي المسكنة والفاقة، والمال لا يبقى حراً وشح، ولا ينقصه بذل وعطاء. يقول الحسن البصري - رحمه الله -: «بئس الرفيق الدرهم والدينار لا ينفعانك حتى يفارقاك».

ومن جاد على عباد الله جاد الله عليه، ومن فتح له باب خير فلينتهزه فإنه لا يعلم متى يغلق دونه، وإن استطعت أن لا يسبقك إلى الله أحد

فافعل، ولما مات زين العابدين - رحمه الله - افتقد أهل المدينة صدقة السر، ولما غسلوه وجدوا آثار سواد في ظهره مما يحمله على ظهره من الدقيق ليلاً لفقراء المدينة.

والصدقة يظهر أثرها على النفس وبركة المال والولد، ودفع البلاء وجلب الرخاء، يقول ابن القيم - رحمه الله -: «للصدقة تأثير عجيب في دفع البلاء وهذا أمر معلوم عند الناس خاصتهم وعامتهم، وأهل الأرض كلهم مقرون به؛ لأنهم جربوه، وما استجلبت نعم الله واستدفعت نقمه بمثل طاعته والتقرب إليه والإحسان إلى خلقه»، فابتغوا ذوي المسكنة ولو بقليل فالقليل في جنب الله كثير، يقول يحيى بن معاذ - رحمه الله -: «ما أعرف حبة تزن جبال الدنيا إلا الحبة من الصدقة». فابذل فالبذل رفعة، والسخاء مكرمة، وكلما سمحت النفس كان البذل أعظم، والمرء في ظل صدقته يوم القيامة.

أيها المسلمون:

الفساد كله في طول الأمل واتباع الهوى، والصلاح كله في الاستعداد للقاء الله واتباع الهدى، وبعض المسلمين يتيه في سكرة الغفلة والإعراض، في ليله هائم وفي نهاره نائم، خان جوارحه وفرط في درر شهره، وأشخص بصره أمام النوافذ المرئية الهادمة للعقيدة والأخلاق المؤججة للفتن، الملوثة للتربية والفترة السليمة، المقوضة للمجتمعات، تفسد البيت الصالح، وتنزع جلابب الحياء.

وبعض الآباء والأولياء أرخى زمام الحزم مع أبنائهم وبناتهم تشبهاً بصفة الثقة المذمومة فيأذن لبناته التجول في الأسواق - أبغض البقاع إلى الله - بلا رقيب ولا حسيب فيعرضن المفاتن ويتعرضن للفتن، واعلمي - أيتها المرأة - أن ربك لك بالمرصاد والله يقول: ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾ [المؤمنون: الآية ١٧]، فحافظي على عرضك وصوني حياءك،

وابتعدى عن رفقة السوء، فنازعة الحجاب والتمتيزنة في الأسواق، امرأة محتقرة في المجتمع.

إن واجب الآباء إزالة المنكرات من دورهم، وإحكام الرقابة على أولادهم، وعدم التهرب من المسؤولية ليحسن الحال، وتبرأ الذمة في المال، فأنت - أيها الأب - المعلوم والمذموم وحدك، فولايتك وقوامتك في دارك منحها الله من فوق سبع سمواته لك قال الله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ [النساء: الآية ٣٤]. فلا تأذن لنسائك بالخروج من بيتك إلا لحاجة.

وإذا خرجت المرأة إلى السوق فليكن معها محرماً أحمى لجنابها. وصلاة المرأة في بيتها أعظم أجراً عند الله من صلاتها في المسجد مع الإمام، فالبيت مكنون المرأة وسترها، وإذا خرجت المرأة إلى المسجد فلتكن محتشمة مستترة، ولتكن البنت بجانب والدتها وتحت ناظر عينيها، فذلك أرعى لخدرها وأزكى لحياتها.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾

[فصلت: الآية ٤٦].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم . . .

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه.

أما بعد: أيها المسلمون:

أحسنوا الاستعداد لشهركم الفاضل فهو ضيف راحل، واستقبلوا شهركم بتوبة صادقة، واعقدوا العزم على اغتنامه وعمارة أوقاته بالطاعة.

فما الحياة إلا أنفاس معدودة وآجال محدودة، فاغتنموا شريف الأوقات، واعملوا وأملوا وأبشروا، فالمغبون من انصرف أو تشاغل بغير طاعة الله، والمحروم من حرم ليلة القدر، والمأسوف عليه من أدرك شهر رمضان فلم يغفر له، واعمروا أوقاتكم بالطاعة فعمرة في رمضان تعدل حجة مع النبي ﷺ، ومن فطر صائماً كان له مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيئاً، وألحوا في الدعاء والمسألة فدعوة الصائم مستجابة.

وصل ما تمزق من رحمك، وعليك بالتوبة ما دام بابها مفتوحاً والعدر مقبولاً، فسوء الخاتمة محذور، والموت أمر عظيم، ووداع الدنيا عند الفراق أليم، والأعمال والأحوال لا تصفو إلا بتقصير الآمال، وليكن يومك خيراً من غابرك، يقول إبراهيم الحربي - رحمه الله -: «لقد صحبت

أحمد بن حنبل عشرين سنة فما لقيته في يوم إلا وهو زائد عما كان عليه بالأمس».

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيه . . .